مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ دخلت معترك الحياة الهندسية العملية في مصلحة الري قبل ثماني عشرة سنة وأنا مسحور ومعجب بعظمة مشروعات الري القديمة في سامراء ، تلك المشروعات التي تعد من أهم مشروعات الري في العالم المتحضر ، وأعني بما تقدم بصورة خاصة مشروع النهروان الذي يبدأ من مدينة سامراء ويمتد الى أكثر من ثلثمائة كيلو متر في شرقي نهر دجلة حتى مدينة الكوت الحالية ، وهو المشروع الذي يعد، بشهادة سير ويليم ويلكوس، اعظم مشروع ري اصطناعي في العالم . أجل، منذ ذلك الوقت اختمرت في ذهني فكرة، بل رغبة ملحّة تكاد تكون أقرب الى الهواية والولع منها الى واجب الوظيفة — هي رغبة شديدة وطموح قوي وميل متزايد لاستقصاء مكنونات هذه الاعمال الجبارة التي ترك لنا الاسلاف آثارها الناطقة بتاريخهم العظيم وماضيهم المجيد . منذ ذلك الوقت أخذت اطالع وأتتبع وأجمع كل ما قيل وكتب عن هذه المشروعات مدفوعاً بحب الاطلاع وبدافع الطموح لأن استقي من مناهل الحقائق التاريخية ما أستعين به كخبير ري في أحياء موات هذه الأرض المباركة واعادة مجدها الغابر باحياء مشاريعها القديمة على أساس فني يتلاءم وأحدث ماوصل اليه علم الهندسة في العالم الجديد.

ولا يخفى ما لمشروعات الري القديمة من صلة وثقى بالدراسات الأثرية التاريخية مما يجعل التحقيق عن الواحدة دون الأخرى متعذراً في اكثر الحالات. وتبرز هذه الصلة بصورة جلية اذا ما أردنا دراسة جغرافية سامراء القديمة ، فان مدينة سامراء العباسية كانت محاطة بأنهر اصطناعية وطبيعية من أطرافها

كافة ، فكان نهر الاسحاقي يحدها غرباً ، وهو النهر الذي يمتد على طول المدينة التي في غربي دجلة ، كما انه كان يحدها نهر النهروان شرقاً على طول المدينة الكائنة شرقي دجلة ، هذا الى أن دجلة كانت تخترقها من وسطها ، الأمر الذي يجعل دراسة جغرافية سامراء في عهد الخلافة العباسية بدون دراسة مشاريع الري القديمة في تلك المنطقة أمراً صعباً إن لم يكن متعذراً . لذلك رغبت ان تقوم بعثة من اختصاصيي الري والآثار القديمة على أن أكون أحدهم للتعاون في سبيل انجاز دراسة تاريخ المنشئات في منطقة سامراء في عهد الخلافة المذكورة دراسة علمية شاملة لتأتي بالثمرة العلمية المنشودة ، إلا أن اشغال دائرة الآثار في أعمالها الأثرية الواسعة في مختلف انحاء العراق لم يساعد على تفرّغ موظفيها الاختصاصيين للدراسة المذكورة ، فاضطررت أن أقوم بدور خبير الري ودور المؤرخ الاثاري في آن واحد لانجاز الدراسة المطلوبة . ولقد قمت بالدور الاول مستعيناً باعمال المسح وبتجاربي الطويلة في شؤون الري العراقية الموقوف على تفاصيل تصاميم منشئات الري القديمة والاهداف التي كان يرمي اليه انشاؤها ، كما قمت بالدور الثاني مستعيناً بالكتابات التاريخية في مختلف اللغات وبالاطلال الأثرية المتبقية من الابنية القديمة حتى انتهيت الى نتائج اعتقد انها أقرب ما يمكن الوصول اليه من معلومات تاريخية حول جغرافية سامراء القديمة ومشروعات الري في منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية بصورة صحيحة .

وقد ظهر لي أن اكبر نقص في الابحاث عن شؤون هذه المدينة العباسية الخالدة عدم وجود خارطة حقيقية جامعة لمواقع منشئات المنطقة ، وان ما هو موجود مبعثر هنا وهناك واكثره منقول عن خرائط اجنبية ومعظمه بعيد عن الواقع ولا يمكن أن يعوّل عليه الباحثون أو المحققون . لذلك كان عليّ قبل أن أقوم بدراستي عن الانهر القديمة والمواقع الأثرية في هذه المنطقة ان أجري مسحاً خاصاً لبعض الاماكن التي قمت بدراستها ، وقد استغرق ذلك مدة طويلة حتى تسنى لي أن أجمع كافة المعلومات المطلوبة للموضوع ، وقد استعنت بآثار

الأنهر القديمة واتجاهاتها ومناسيبها الى الاستعانة بالاخبار التاريخية أنّى وجدتها لاستخلاص النتائج المطلوبة. وقد رسمت بنتيجة هذا المسح والتدقيقات التاريخية التي قمت بها خرائط حقيقية للاماكن الاثرية في منطقة سامراء والانهر القديمة في تلك المنطقة مع تصاميم منشئات الري في مختلف المواقع ، فكانت أولى الخرائط الحقيقية التي تنشر حول الموضوع . ولما كنت اعتقد أن هذه المجموعة من الخرائط والرسوم سيتخذها المحققون والمؤرخون مرجعاً في تتبعاتهم وبحوثهم فقد أعرتها اهتماماً خاصاً وذلك بتدقيق المواقع تدقيقاً عملياً بتتبع الآثار نفسها وتعيين أماكنها الجغرافية على الخرائط بصورة متقنة .

والذي يسترعي الانتباه ان معظم المدن والقرى العربية القديمة التي كانت على مجاري الأنهر القديمة في منطقة سامراء ولا سيما تلك التي كانت على مجرى النهروان ومجرى دجلة القديم الذي كان يسير غربي قرية بلد الحالية ، لا تزال محتفظة بأسمائها الاصلية رغم مرور مئات من السنين عليها، ومن أهم ما يجده القارىء في هذا الكتاب هو تعيين هذه المواقع بالنسبة الى الوضع الحاضر حسب الخرائط الحديثة وتصحيح ما ورد من أخطاء في بعض الاوصاف التي في الكتب الاجنبية عن هذه الاماكن .

ومما يؤسف له أن مراجعنا الحديثة كلها انحصرت في فئة من كتّاب الافرنج واقتصرت هذه الابحاث، التي تتعلق بأهم ناحية من نواحي تاريخنا القومي ، على الغربيين من السوّاح والمؤرخين والكتاب . . وقد فسّر كل من هؤلاء بقايا المنشئات وآثار المشروعات القديمة التي اقامها اسلافنا في العراق بحسب ما أوحت اليه ميوله . فاذا كان الكاتب أو المؤرخ عسكرياً فسّر المنشئات التي شاهدها تفسيراً عسكرياً، وصبغ معظمها بصبغة عسكرية فصوّر الجداول المندرسة خنادق دفاعية واطلال القرى والمدن متارس وحصون وأكتاف الانهر أسواراً وقلاعاً، وإذا كان المحقق آثارياً هاوياً صوّر الآثار بحسب الاتجاهات الغريبة التي اعتاد

مشاهدتها في بلاده فصوّر البركة (امفيثئتر) والكهريز(١) نفقاً للمرور والناظم قنطرة للعبور الخ ... ومن أغرب الامور اننا قبلنا ما قدمه لنا هؤلاء من دون أي تدقيق وأعتبرنا أقوالهم في شؤون تاريخنا القومي حجة لا تقبل الرد أو الجدل . وأوضح مثال من هذا القبيل أقوال ميجر لاين عن المواقع الأثرية في منطقة سامراء ، فقد اعتبر في كتابه «مسائل بابلية» كل ما هنالك من اطلال وجداول قديمة مشروعات بابلية عسكرية تتصل بسور الميديين والاعمال الدفاعية التي انشئت هناك للدفاع عن سد نمرود القديم ، على حين أنه ليس هناك سوى أنهر قديمة مندرسة وبقايا مدن وقرى ومنشئات للري كالنواظم والسدود وهدفها الأساسي الاعمار الزراعي بتنظيم الري في تلك المنطقة ، وان معظم هذه الاعمال يعود الى العهد العربي . وقد دوّن في كتابه هذا أيضاً نظريات حول مجرى النهروان يتضح منها أنه كان بعيداً كل البعد عن فهم حقيقة هذا المشروع والاهداف التي انشىء من اجلها في مختلف الادوار .

وقد كنت منجرفاً مع التيار في قبول كل ما كتبه هؤلاء الغربيين عن منشئاتنا ومشاريعنا المندرسة حتى اتضح لي بعد التبحر في هذه الموضوعات والتدقيقات العملية في هذا المضمار بأن هناك اموراً لا يمكن للغربي ، مهما كان عالماً، أن يتوصل الى حقيقتها مثل مايستطيع أن يدركها الخبير العراقي المتضلع في اللغات المحلية وفي شؤون المحيط الذي اقيمت فيه هذه المنشئات القديمة ، وهو نفس المحيط الذي ترعرع فيه وخبر بواطنه . ومع كل هذا فعلينا أن نعترف بفضل هؤلاء العلماء إذ سبقونا في تتبعاتهم وتحققاتهم في بلاد الشرق ، فانهم أسسوا لنا بمؤلفاتهم وابحاثهم وتتبعاتهم دعامة علمية ثمينة نستطيع أن نبني عليها حقائق علمية وتاريخية تسجلها لنا الاجيال المقبلة بمداد من الفخر والتقدير. وأملنا وطيد أن ينبري الشباب العربي فيقتدي برجال الغرب ويدخل معترك

---

(١) الكهريز اصطلاح محلي ومعناه القناة التي تسير تحت الأرض

الحياة العلمية بنفس الاقدام والمواظبة والتضحية التي امتاز بها الغربيون فنبرهن للعالم المتمدن على قابليتنا واستعدادنا لاحياء تراثنا العلمي القديم وعلى اظهار حقائقه وتوضيحها بصورة علمية غير مشوهة .

أما المراجع المتيسرة حول آثار سامراء العباسية ومنشئاتها القديمة من جداول وقصور ومتنزهات وغيرها فتقتصر على كتب معدودة من تآليف الكتاب الغربيين، وأهمها تلك التي وضعها المهندس الفرنسي فيوله (Viollet) والعلامة الالماني الدكتور ارنست هرزفلد (Dr. Ernest Herzfeld) ، فقد كان اهتمام هذين الآثاريين محصوراً في أبنية معينة من أبنية سامراء القديمة البارزة كقصر الخليفة الذي كان يعرف بدار الخليفة أو الباب العامة وقصر المنقور الذي كان يعرف باسم بلكوارا وقصر العاشق الذي كان يعرف بالمعشوق . وقد اقتصرت ابحاث الأخير على فن الأبنية والاساليب المتخذة لتزيينه وتزويقه وتحسينه ، أي الصنائع الفنية الاسلامية كالنقوش والزخارف الجصية والتخاريم وغيرها من الامور المتعلقة بذلك . لذا فانه لم يعر الناحية الخاصة بجغرافية منطقة سامراء القديمة والناحية المتعلقة بمشاريع الري في تلك المنطقة التفاتاً كافياً . وقد رسم هرزفلد مخططاً لمدينة سامراء وشوارعها استند في وضعه الى وصف اليعقوبي للمدينة ، إلا ان هذا المخطط فضلاً عن أنه لا يشمل الا قسماً من المدينة فهو لا ينطبق في كثير من النواحي لا على الواقع ولا على وصف اليعقوبي نفسه[1]. اما مشاريع الري العائدة الى ذلك العهد فلم يتطرق احد اليها إلا ما جاء عرضاً، وهذا ماحدى بي ان اتحرّى واتتبع وانقّب في المصادر التي كانت سامراء بني العباس وقطائعها وبساتينها وجوامعها وبركها

(١) في غرة سنة ١٩١١ شرعت بعثة المانية في التنقيب عن آثار سامراء ، وقد نال الامتياز بالحفر العلامة المشهور الاستاذ فريدريك صارة (Frederic Sarre) البرليني الرحالة وعهد الى الدكتور هرزفلد الذي كان آنذاك أحد أساتذة جامعة برلين للاخذ بهذه الاشغال المهمة .

تستقي المياه منه بغية التوصل الى معلومات صحيحة حول هذا الموضوع المعقّد الذي بقي مجهولاً في حقل الابحاث الأثرية .

اما المراجع العربية عن آثار سامراء العباسية فان أهم ما كتب عنها نشرة دائرة الآثار العراقية عن سامراء المطبوعة في مطبعة الحكومة في بغداد سنة ١٩٤٠ . وهذه النشرة ، مع تقديرنا للجهود التي بذلت في سبيل وضعها ، لاتخلو من النواقص ، ونأمل ان تقوم دائرة الآثار بطبعها طبعاً مجدداً تتدارك فيه النواقص لتكون دليلاً مفيداً للزائر من جهة والمتتبع في شؤون سامراء التاريخية من الجهة الاخرى . ومن أهم هذه النواقص خلو النشرة من أي بحث يتعلق بمشروعات ري سامراء القديمة كمشروع النهروان ومشروع الاسحاقي ومشروع نهر دجيل[1] وغيرها من مشاريع الري التي انشئت في عهد المتوكل لايصال المياه الى مدينة سامراء ومتنزهاتها ، كما أنه لا بد من اضافة خارطة عامة الى النشرة تبين فيها المواقع المهمة من سامراء القديمة .

والظاهر أن دائرة الآثار العراقية قد انصرفت بكليتها تقريباً الى دراسة الآثار القديمة التي يرجع تاريخها الى ما قبل العهد الاسلامي ؛ اما تاريخ العهد العربي فلم تعره اهتماماً كافياً ، ولعلّ السبب في ذلك يرجع في الدرجة الاولى الى ان الناحية التي وجهت اليها هذه المؤسسة منذ تشكيلها كانت تتصل بهذه الدراسات القبتاريخية ، وذلك بناء على اهتمام الغربيين بالآثار التي تتصل بنشؤ الحضارات البشرية ، وهي الآثار التي اجتذبت العلماء والمحققين لاكتشاف مكنونات هذه الحضارات . ولايخفى ان الغربيين بذلوا وما زالوا يبذلون بكل سخاء في سبيل تحقيق هذه الناحية من التاريخ البشري . ومع اننا نقدر أهمية هذه الدراسة ونؤيد ضرورة اهتمام دائرة الآثار العراقية بها ، إلا اننا نرى في الوقت نفسه لزاماً علينا أن نعطي آثارنا الاسلامية العربية نصيباً من

(١) ان التسمية الشائع استعمالها للنهر المذكور « نهر الدجيل » والصحيح « نهر دجيل » كما ورد في المصادر العربية التاريخية .

الالتفات والاهتمام وان نشجع الدراسات العلمية في هذا الاتجاه ، وهي الدراسات التي تشتمل على ناحية مهمة من نواحي تاريخنا القومي بصورة عامة والحضارة الاسلامية العربية بصورة خاصة .

ومن أهم الابحاث التي عولجت في كتابي هذا موضوع النهروان وتاريخه وتطوراته في مختلف العصور لأعطاء فكرة عن الدور الذي لعبه هـذا النهر العظيم في تاريخ ري العراق القديم ، ولا سيما مايتعلق بمنطقة سامراء في العهد العباسي[1] . وقد تبسطت في البحث عن مختلف أدوار هذا المشروع فأودعت فيه خلاصة ماتوصلت اليه عن نشؤ النهروان وتاريخه وتطوره، ورسمت خرائط تبين تفاصيل تخطيط هذا المشروع ولا سيما تفاصيل القسم الواقع في منطقة سامراء . وموضوع النهروان خطير يكتنفه الكثير من الغموض والتعقيد نظراً لتداخله مع أدوار عدة واختلاف الآراء حوله وقلة المصادر عنه ، فان تاريخه يتألف في الحقيقة من تاريخ حضارات أدوار عديدة مرت على العراق في مجرى تاريخه العريق في المدنية والعمران . وعلي أن أقول بأني لم أجد في كل ماخضته من ابحاث عن ري العراق القديم موضوعاً اكتنفه غموض وتبلبل مثل موضوع النهروان ، وما كنت لأجرأ على التطرق الى بحثه لولا ثقتي بما توصلت اليه من نتائج بعد دراسة متواصلة مدة تربى على خمسة عشر عاماً ، فقد كنت لعدة سنوات خلت مديراً لمنطقة ري ديالى وقد تمكنت خلال هذه المدة من دراسة قسم النهروان الواقع في تلك المنطقة دراسة دقيقة ، ثم قضيت مدة وانا مدير منطقة ري الكوت فقمت خلالها بدراسة القسم الواقع في تلك المنطقة ، وأخيراً قضيت مدة غير قليلة في منطقة سامراء نفسها فدرست خلالها القسم الاعلى من النهر . وكان من أصعب الامور تتبع آثار فروع النهروان والوقوف على حقيقة أمرها لأن معظم الاراضي التي تخترقها هذه الفروع قد زرعت الأمر الذي سبب محو معالم هذه الفروع في معظم اقسامها .

(١) راجع الفصول الثاني والثالث والرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر .

ولا يخفى ان احياء النهروان يتطلب قبل كل شيء الوقوف على أصل النهر وتاريخه وتطوراته ، وهذه المعلومات غير متيسرة ، الأمر الذي حملني على مواصلة جهودي في سبيل سد هـــذا الفراغ لتمهيد السبيل الى اعادة احياء هذا النهر التاريخي العظيم والاستفادة منه كما استفاد منه أسلافنا .

اما ما كتبه الاجانب عن هذا الموضوع فقد يعد كتاب فيليكس جونس عن النهروان الكتاب الوحيد في هذا الباب ، وهذا وضع في منتصف القرن التاسع عشر وطبعته حكومة الهند في سنة ١٨٥٧(١). ومع اننا لا ننكر الجهود الجبارة التي بذلها هذا الباحث لاخراج هذا الكتاب الى الوجود في ذلك الوقت الحرج ، فان كتابه يميل في كثير من الاحيان الى الخيال ، الامر الذي جعله بعيداً عن الحقائق الواقعية المستندة الى تدقيق علمي فني . فقد مسح المستر فيليكس جونس المنطقة التي يقطعها النهروان على طول مجراه ونظم خرائط كانت تعد في ذلك الوقت تحفة نادرة لصعوبة الوصول الى تلك الأماكن النائية وللمخاطرة في سبيل الحصول على أية معلومات من هذا القبيل . اما الآن فنجد أن خرائط فيليكس جونس لا تخلو من الاغلاط ثم ان ارتباكه في بعض نواحي الموضوع جلي ، فانه لم يستطع ان يفرّق مثلاً بين السد المقصود منه رفع مناسيب المياه وبين قنطرة العبور أو الناظم ، هذا فضلاً عن أنه لم يستطع تتبع الفروع وتعيين اتجاهاتها ، وهو معذور بذلك ، لأن عملاً من هذا القبيل لايخلو من الصعوبات والعقبات حتى في الوقت الحاضر ، إذ لايمكن الوصول الى هـــذه التشعبات إلا مشياً على الاقدام في كثير من الاحيان ، هذا عدا ما تتطلبه الدراسة في هذه الناحية من اختصاص فني . لذلك نرى فيليكس جونس قد صوّر في خرائطه آثار المنشئات القديمة كما شاهدها لا كما كان عليه تصميمها

(١) راجع سلسلة المختارات من سجلات حكومة بومباي ، المجلد الثالث والاربعين لسنة ١٨٥٧ ص ١ ـ ١٣٤ .

Selections from the Records of the Bombay Government, No. XLIII, New Series, 1857, p. 1-134.

الاصلي، دون أن يدرك الغاية التي انشئت من اجلها . وأهم مافي كتاب فيليكس جونس بنظرنا هو وصفه لبعض المواقع الأثرية كما شاهدها قبل حوالي مئة عام وذلك قبل أن تفقد معالمها ، ومن المعلوم ان معظم هذه المواقع الأثرية فقدت معالمها خلال المئة سنة المنصرمة بنتيجة رفع الانقاض من قبل الأهلين وزراعة الأراضي التي تقع فيها هذه الاماكن .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو أن السير ويليم ويلكوكس تسرّع فألّف كتاباً عن النهروان قبل أن تطأ قدماه أرض العراق(١) ، مستقياً معلوماته من كتاب فيليكس جونس ومستنسخاً خرائط جونس نفسها ، الا انه كان متحفظاً في نقل هذه المعلومات بحيث نقلها حرفياً ثم بنى عليها ما بناه واقترح اعادة احياء النهروان على شكل واسع لم يؤيده بعد مجيئه الى العراق وقيامه بدراسة الوضع ؛ ونحن لانشك في أنه ندم على تسرّعه هذا لانه وقع في اخطاء كثيرة وبصفته خبير ري لا يعذره الفنيون فيما يبديه من ملاحظات مغلوطة . على ان الذي نستخلصه من ابحاث سير ويليم ويلكوكس انه لم يتوصل الى نتائج معينة في هذا الموضوع حتى بعد مجيئه الى العراق وقيامه بدراسة مشروعات ري العراق القديم ، لانه لم يستطع ان يعيّن علاقة نهري ديالى والعظيم بالنهروان في مختلف العصور ولا وفق الى بيان علاقة الصدور العديدة الواحد بالآخر الى غير ذلك من الامور المتعلقة بتاريخ النهروان وتطوراته . ولعله تعذر عليه تتبع آثار النهروان وفروعه كلها والوقوف على كل ما كتبه المؤرخون ولا سيما مؤرخو العرب في هذا الموضوع . لذلك نراه قد تجنّب البحث في تاريخ المشروع وتطوراته في مختلف ادواره ، واذا تطرّق الى

(١) راجع كتابه «اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة واعادة احياء كلدو» المطبوع في مصر في سنة ١٩٠٣ .
«The Restoration of the Ancient Irrigation Works on the Tigris or the Recreation of Chaldea» By Sir William Willcocks .

الموضوع فكان ذلك عرضياً. ومما يؤيد ذلك ان مقترحاته الأخيرة في تقريره عن مشاريع الري اقتصرت على احياء النهروان الاسفل ، اي القسم الذي يمتد من نهر ديالى الى الدنائب قرب الكوت ، وذلك باسالة مياه نهر ديالى الى ذلك القسم لأرواء الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة بين بغداد والكوت ، وبذلك طوى صفحاً عما اقترحه في كتابه السابق عن النهروان .

أما ما كتبه المؤرخون عن النهروان فهو محدود ومبعثر كما ان بعضه بعيد عن الواقع ولا بد من تمييزه والتعليق عليه ، وما وصلنا من كتاباتهم عنه جاء عرضياً أو في مناسبات خاصة ، وقد جاء في كتاب « الفهرست » لابن النديم ذكر كتاب للمدائني (١) عنوانه « النهروان » وكتاب آخر لهشام الكلبي (٢) عنوانه «الانهر» ، ولكن لسوء الحظ ان الكتابين المذكورين من جملة الكتب التي فقدت من جراء النكبات المختلفة التي توالت على هذه البلاد ولا سيما في غزو التتار لبغداد .

اما ما كتب على عهد الفرس عن النهروان فلم اعثر على أي مصدر يبحث في الموضوع الا ماجاء عرضياً في رسائل الامبراطور هرقل الى مجلس الاعيان الروماني ، بمناسبة غزو الرومان لبلاد فارس في عهد كسرو ابرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨ م .)، ويظهر ان جدول النهروان كان من جملة العقبات التي حالت دون تقدم هرقل في غزوه لمملكة فارس .

ومن المشروعات التاريخية المهمة التي تتصل بمشروع النهروان وعالجتها في هذا الكتاب المشروعين، « سد نمرود » و«سور الميديين»، فقد بحثت في مختلف نظريات الكتاب والمؤرخين في هذين المشروعين ووضعت خرائط خاصة لها. ولعلاقة سد نمرود بتطور مجرى دجلة كان لا بد من البحث عن مجرى دجلة القديم الذي يمتد بين العاصمتين العباسيتين ، سامراء المعتصم وبغداد المنصور ، لذلك

(١) ولد في سنة ١٣٥ ومات سنة ٢١٥ هـ .

(٢) توفي سنه ٢٠٦ هـ .

افردت بحثاً خاصاً عن ذلك وعززته بخارطة تبين اتجاه ذلك المجرى ومواقع المدن الرئيسية التي كانت عليه. ومما يلفت النظر ان معظم هذه المدن لا يزال محتفظاً باسمائه الاصلية كـ « العلث » و « حربى » و « الحظيرة » و « باحمشا » و « مسكن » و « جويت » و « أوانا » و « عكبرا » و « بصرى » وغيرها(١) .

ومن جملة المشاريع التي تطرقت اليها في هذا الكتاب مشروع « نهر القورج » القديم ، وهو المشروع الذي كان السبب المباشر في أكثر حوادث الغرق التي كانت تحصل في بغداد الشرقية ، كما كان السبب في تحوّل نهر دجلة في القسم الذي يمتد بين سامراء وبغداد من اتجاهه الغربي الى المجرى الشرقي الحالي(٢) . وفي الكتاب أيضاً بحث عن مشروع النهرين « الاسحاقي » و « دجيل » الواقعين على الضفة الغربية من نهر دجلة ، ففي هذا البحث معلومات جديدة عن تاريخ هذين النهرين المذكورين والتطورات التي اعتورتهما في مختلف الادوار(٣) .

ومن أهم ما توصلت اليه خلال دراستي لنظام الري القديم في منطقة سامراء العباسية تعيين موقع بركة البحتري ، البركة التي كانت تعرف باسم البركة الجعفرية ، نسبة الى منشئها جعفر المتوكل ، وتثبيت حدود حير المتوكل للوحوش ، وهو الحير الذي كانت البركة تقع فيه . وبركة البحتري وحديقة المتوكل للحيوانات معروفتان لدى الأدباء والكتّاب من قصيدة البحتري المقصورة في وصف البركة والحير ، حيث عدّت من اسمى المعاني الشعرية في العهد العباسي :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات إذا لاحت مغانيها
مابال دجلة كالغيرى تنافسها ... في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
أما رأت كاليء الاسلام يكلأها ... من أن تعاب وباني المجد يبنيها

(١) راجع الفصل الثاني من الكتاب
(٢) راجع الفصلين الثالث والرابع
(٣) راجع الفصول الأول والثالث والحادي عشر

كأنّ جن سليمان الذين ولوا ابداعهـا فأدقوا في معانيهـا
تغني بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلاً عزاليهـا

الى أن يقول :

وطاعة الوحش إذ جائتك من خرق احوى وادمانة كحل مآقيهـا
كالكاعب الرود يخفي في ترائبها ردع العبير ويبدو في تراقيهـا
ألفان وافت على قدر مسارعة الى قبول الذي حاولتـه فيهـا
إن سرت سارت وإن وقّفتها وقفت صوراً اليـك بالحاظ تواليهـا
حتى قطعت بها القاطول وافترقت بالخير في عرصـة فسح نواحيها

وقد استرسل البحتري في وصف البركة وقـد سمّاهـا بالبركة الحسنـاء ، فصوّرها « كالبحر في عظمتها » وقال ان « وفود الماء كانت تنصب فيها معجلة كالخيل الخارجة من حبل مجريها » ، وكانت من السعة بحيث كان يتعذر على الاسماك الملوّنة التي كانت فيها أن تتحول من جانب الى آخر لما بينهما من بعد ، ثم ذكر أن هناك رياضاً وبساتين كانت تحف بها الى مسافات بعيدة ، كما أن هناك نهراً يسمى « نهر نيزك » كان يغذيها بالمياه ، وهو النهر الذي كانت ترد منه الحيوانات الوحشية التي في الحديقة وهي تبلغ الفي وحش . وقد صوّر البحتري دجلة الى جانب البركة وهي «غيرى تنافسها في الحسن طورا وتباهيها طوراً» ، كما صوّر « نهر نيزك » وهو يتوسط البركة فشبّهه بماء البحر . وقد أشار البحتري في قصيدته الى مقصورات تطل على البركة والى «صحن رحيب» في أسافل البركة والى بهو في أعالي البركة والى ساحة تسمى بـ«ساحة التل» قرب القاطول كانت حيوانات الحير ترتادها . ومن بدع المتوكل المبتكرة التي أشار اليها البحتري الدواليب التي كانت على البركة والتي كان يديرها النعّام ثم تمثال الدافين الذي يتصدرها .

أين قد تكون هذه البركة ، وأين هو « نهر نيزك » وأين هي حديقة الحيوانات التي كان يخترقها هذا النهر ، وكيف جاءت المياه الى البركة تجري

مسرعةً « كالخيل الخارجة من حبل مجريها » ... وكيف كانت تصرّف مياه البركة ؟ ... هذه هي من جملة الأسئلة التي كانت تستحثني كخبير ري على التنقيب والتحري والتتبع للتوصل الى جواب يشفي غليلي ويرفع الستار عن مكنونات هذا المشروع العظيم . وكلما أردت أن أقنع نفسي بما ذهبت اليه مديرية الآثار القديمة من أن البركة الحسناء التي كانت مصدر وحي البحتري تقع أمام القصر المعروف بدار الخليفة ، القصر الواقع شمالي مدينة سامراء الحالية بقليل[1] ، وجدتني في حيرة من أمري . وقد حاولت كثيراً أن اعتبر هذه النظرية صحيحة فقضيت عدة أيام وأنا أتخطى هذا المكان ساعات كثيرة كل يوم ، وكلما تذكرت وصف البحتري للنهر الذي كان يجري كالسيل وكلما تذكرت قوله ان المياه كانت تجري « معجلة كالخيل الخارجة من حبل السباق » كلما ايقنت بصورة جازمة على أن دائرة الآثار كانت بعيدة من تعيين موقع البركة ... أين هو النهر وأين المغاني ، وأين الدكتان « كمثل الشعرتين غدت احداهما بأزاء الاخرى تساميها »؟... وأين « الصحن الرحيب في أسافل البركة والبهو على أعاليها »؟... أين البساتين وأين الحديقة التي كانت تضم الألوف وحش ؟ واين ساحة التل قرب القاطول التي كانت مغنى من مغاني هذه الحيوانات ... أين كل هذا ؟ ... اني لم اعثر في المكان الذي أشارت اليه دائرة الآثار على أثر واحد من هذه الآثار... إذن كان عليّ أن أتحرّى عن البركة الحسناء في مكان بالقرب من القاطول ونهر دجلة اولا ، وفي أرض منخفضة يساعد مستواها على جري النهر فيها بحيث تنتهي هذه الأرض الى « مواطيء » يمكن تصريف مياه البركة اليها ، هذا فضلاً عن ان المكان لا بد من أن يكون في منطقة وسيعة رحبة بحيث تضم البساتين والرياض والساحات الواسعة للالاف وحش ، وهي الساحات التي تقع على حسب وصف اليعقوبي ضمن « حائط يدور في صحراء حسنة واسعة » ... وكم كانت دهشتي حين قادتني الصدفة ، أثناء قيامي ببعض التحريات عن مجرى

(١) راجع نشرة مديرية الآثار القديمة عن سامراء (مطبعة الحكومة ١٩٤٠) ص ٥٥

النهروان القديم بغية دراسة امكانيات هذا المشروع ، الى ان اكتشف البركة الحسناء بعينها على حين غرة ، بعد وصولي الى ذنائب أحد فروع هذا النهر . نعم، هي انها بركة البحتري نفسها بدكتيها الواسعتين وبصحنها الرحيب في اسافلها وبالبهو في اعاليها ، وأمامها السور الذي يضم الوحش فيبلغ مجموع طوله حوالي الثلاثين كيلو متراً ، وخلفها القصر الواسع وكذا ساحة التل التي كانت مغنى الوحش قرب القاطول ودجلة .

ذلك هو المكان الذي يعرف الآن باسم « المشرحات » وهو يقع على مسافة زهاء ستة كيلو مترات من مدينة سامراء الحالية شرقاً ، فهناك يمكن تتبع آثار سور حير الحيوانات وبقايا البركة بحسب اوصاف البحتري(١). ومن المهم ان نذكر في هذا الصدد ان مديرية الآثار العراقية العامة اتصلت بالدكتور هرزفلد لاستمزاج آراءه عن موضع المشرحات على اثر ما نشرت في الصحف المحلية عن نتائج دراساتي في منطقة سامراء ، ولا سيما مايتعلق بموضع المشرحات الذي لم يكن لدائرة الآثار علم به من قبل ، فأجاب الدكتور بكتاب وجهه الى المديرية المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٩٤٧ انه كان قد لاحظ أطلال المشرحات والبركة أثناء وجوده في منطقة سامراء وأن السور الذي يقع هناك كان على حسب اعتقاده حدود ساحات الصيد الواسعة التابعة لحائر الحير . فلما بعثت الى الدكتور المومى اليه نسخة من منشوراتي حول الموضوع وشرحت له خلاصة ماتوصلت اليه من نتائج ، بعد اجراء تحقيقاتي في منطقة سامراء ، أجابني بكتابه المؤرخ ٢٩ آب ١٩٤٧ ، أي بعد اجابته على كتاب مديرية الآثار العامة بحوالي الشهر قائلاً مانصه : « بناء على مذكراتي المدونة قبل عشر سنوات اني اتفق وايا كم في كل ما ذهبتم اليه بمقالكم تقريباً » . ويجد القارىء نص جواب

(١) يجد القارى بحثاً مفصلا عن اطلال المشرحات هذه وحديقة الحيوانات وبركة البحتري في الفصول الثلاثة الرابع والسادس والسابع كما يجد عدة خرائط ورسوم حقيقية تبين تفاصيل الحير والبركة .

الدكتور هرزفلد إليّ في الفصل الرابع وقد دوّنته كما جاء منه باللغة الانكليزية .

ومن المواقع الأثرية المهمة الاخرى التي عولجت في كتابي هذا « حصن القادسية القديم » الواقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة جنوبي مدينة سامراء ، وهو الحصن التاريخي المثمّن الذي يشغل مساحة تقرب من ثمانمائة دونم (مشارة) في منطقة القادسية[1] . وقد اختلفت الآراء حول هذا الحصن ، فمنهم من اعتبره حصناً من حصون العرب ، والآخر عده بنية من أبنية الفرس ، وهنالك من اعتبره من الحصون البابلية القديمة التي ترجع الى عهد نمرود ، على ان الذين قالوا بعروبته لم يتفقوا في الرأي عن الزمن الذي انشىء فيه فقد نسبه فريق الى عهد المعتصم وفريق آخر الى عهد الرشيد . اما النتائج التي توصلت اليها بنفسي هي ان الحصن المذكور انشىء في نفس الوقت الذي انشىء فيه مشروع النهروان ، وانه انشىء جرياً على العادة القديمة المألوفة في ذلك الوقت من ضرورة اقامة الحصون المنيعة على صدور الجداول المهمة للمحافظة عليها والحيلولة دون استيلاء العدو عليها أو قطع الماء عنها . وكان رأي دائرة الآثار العراقية ان الحصن المذكور من عمل المعتصم وانه من جملة أبنية المدينة التي ابتناها المعتصم في القادسية قبل أن ينتهي الى سامراء ، وقد طلبت الدائرة المذكورة الى الدكتور هرزفلد ان يزوّدها برأيه الخاص في الموضوع فأيد رأيها وأضاف الى ذلك قائلاً إنه كان يعتقد بأن البناء من عمل الرشيد إلا انه وجد أخيراً انه من منشئات المعتصم التي اقيمت في القادسية قبل أن ينتهي الى سامراء . وقد بعث الدكتور هرزفلد بجوابه هذا الى دائرة الآثار قبل أن يقف على نتائج دراساتي حول الموضوع ، فلما شرحت له خلاصة ما توصلت اليه من نتائج بعد اجراء تحقيقاتي في منطقة سامراء ، وهي نفس النتائج التي شرحتها في مؤلفي

---

(١) تعرف القادسية هـذه بقادسية دجلة وذلك لتمييزها عن قادسية الكوفة التي على نهر الفرات .

هذا ، أجابني بكتابه المؤرخ ٢٩ آب ١٩٤٧ وذلك بعد ارساله برأيه الى مديرية الآثار العامة بحوالي الشهر قائلاً مانصه :« بناء على مذكراتي المدونة قبل عشر سنوات اني أويد كل ماذهبتم اليه بمقالكم تقريباً عدا ما جاء حول سور القادسية المثمّن الذي لايزال مشكوكا في أمره . فيظهر ان البناية هذه غير كاملة وعلى المرء أن يلاحظ أيضاً احتمال كون البناية من عمل هارون الرشيد » . ويستفاد من ملاحظات هرزفلد هذه أنه لا يزال متردداً في أمر سور القادسية بحيث لم يستطع أن يتوصل الى رأي ثابت حول ذلك، فانه بعد أن أيدّ الى دائرة الآثار بانه انتهى الى الرأي القائل بأن السور من عمل المعتصم بعد أن كان يعتقد انه من عمل الرشيد عاد فرجّح في كتابه اليّ بأن بناء السور قد يرجع الى عهد الرشيد ، ويضيف الى ذلك قوله بان ما يتعلق بتاريخ انشاء هذا السور لايزال مشكوكا فيه . والذي اعتقده أن الدكتور هرزفلد سيتفق معي في رأيي حول الموضوع بعد أن يطلع على التفاصيل المدوّنة في هذا الكتاب عن تاريخ النهروان وتطوراته في مختلف الأدوار ، وهو الموضوع الذي يعترف برسالته إليّ بأنه لم يتوصل الى نتائج حاسمة حوله ، إذ يعتبر قضية مجاري النهروان العديدة مسألة عويصة فيقول في رسالته انها « المسألة العظمى » (the great problem) (راجع التفاصيل حول الموضوع في الفصل الرابع من الكتاب)(١) .

كذلك يجد القارىء في الفصل الخامس من كتابنا هذا بحثاً عن القناة التي انشأها المتوكل لايصال المياه الى مدينة « سرّ من رأى » بالطريقة السيحية ، كما يجد في الفصل الثامن منه بحثاً عن النهر المعروف بـ « نهر الجعفري » وهو النهر

---

(١) علمنا باسف شديد والكتاب ماثل للطبع ان هرزفلد قد انتقل الى دار الخلود . ولا شك ان فقدانه يعد خسارة كبرى للعلم لاسيما وان الراحل من الرجالات الذين قاموا بخدمات علمية جليلة من حيث التأليف والتنقيب والتقيم في مختلف المواضيع التاريخية والأثرية في ربوع بلاد الشرق الأوسط .

الذي حفره المتوكل لايصال المياه الى مدينة المتوكلية شمالي سامراء بالطريقة السيحية أيضاً ، والذي وصل اليه علمي القليل انه لم يتطرق أحد الى البحث عن هذين المشروعين حتى الآن . أما المشروع الأول ـ مشروع القناة ـ فيشتمل على قناة خفية تستمد المياه من نهر دجلة من شمالي الدور ، فتسير الى مسافة حوالي أربعين كيلومتراً حتى تصل الى قلب العاصمة (سرّ من رأى) ؛ وقد مدّ المتوكل هذه القناة الى الجنوب حتى جوار القادسية ، فتمكن بفضل هذه القناة من انجاز مشاريعه الجبارة في قلب العاصمة والتوسع شرقي مدينة سامراء باتجاه منطقة الحير، ومن أهم هذه المشاريع مشروع انشاء حلبة السباق التي في الحير ، وهي الحلبة التي أمّن وصول المياه اليها من دجلة ، ثم مشروع انشاء بركتي دار الخليفة . ولا شك في أن هذه القناة هي التي مكنت المتوكل من تموين المسجد الجامع الذي انشأه في أول الحير بالمياه الدائمة .

واما مشروع النهر الجعفري ـ وهو المشروع الذي ذكر اليعقوبي ان المتوكل انفق عليه ما يقرب من مليون دينار وقال الطبري ان اثنى عشر الف شخص اشتغلوا فيه ولكنه لم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً ـ فيشتمل على حفر جدول من ضفة دجلة اليسرى في نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمالي تكريت ، فيسير جنوباً بمحاذاة نهر دجلة مسافة حوالي ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية . وكان الجدول المذكور يموّن بركة القصر الجعفري بالمياه كما أنه يموّن السواقي التي على جانبي الشارع الاعظم وجامع أبي دلف بالماء أيضاً . ولا شك في أن فشل هذا المشروع قد أدى الى نتائج خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ، ولعله كان من أهم الاسباب التي حملت المنتصر على هجران مدينة المتوكلية بعد مقتل المتوكل ورجوعه الى سامراء ، الأمر الذي أدى أخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد .

ولعلّ من أهم مافي ابحاث هذا الكتاب من الوجهة التاريخية اكتشاف

مجرى النهر الجعفري ومنشئاته وتفرعاته وتوضيح أسباب فشل هذا المشروع الخطير . وقد وضعت خارطة حقيقية عن مجرى النهر وتفرعاته والمواقع الأثرية والمنشئات التي عليه مع مناسب القعر على طول المجرى (راجع لوحة رقم ١) ، كما رسمت خارطتين اخريين تبين إحداها حدود المتوكلية وموقع القصر الجعفري وبركته وقد رسمتها على أساس المسح الخاص الذي اجريته بنفسي هناك (راجع رسم رقم ٢) ، وتبين الثانية اتجاه الشارع الأعظم مع مناسيبه على طول المسافة التي بين سور اشناس والمتوكلية (راجع رسم رقم ١٧) . وقد رسمت أيضاً مخططاً بتفاصيل العبّارة التي كانت تعبر مياه النهر من فوق مجرى القاطول الكسروي قبل أن يفضي الى المتوكلية (راجع رسم رقم ١٦) ، ومع أن هذا المخطط مستند الى معلومات فنية دقيقة فهو من تصوراتي الخاصة واختباراتي الشخصية عن منشئات الري معتقداً أنه أقرب صورة لوضع العبّارة التي انشئت في زمن المتوكل . وقد تتبعت آثار الأنهر والكهاريز كافة في هذه المنطقة بالسيارة وعلى ظهور الخيل ومشياً على الاقدام للتثبت من اتجاهاتها وتثبيت مواضعها على الخرائط المرفقة وهي أول خرائط تبين هذه التفاصيل على شكلها الحقيقي .

ويجد قارىء البحث عن عمران سامراء القديمة على الضفة الغربية من دجلة (الفصل الاول) بحثاً خاصاً عن معسكر الاصطبلات الذي بقي امره مجهولاً لندرة المراجع عنه، فقد عدّه البعض من بقايا البابليين، واعتبره البعض الآخر من أعمال المعتصم، وهناك من نسبه الى عهد متأخر (عهد المتوكل). وكنا مترددين في أمر هذا المعسكر أيضاً حتى انتهى بنا التحقيق الى اتصاله بعهد المعتصم، واعني بذلك ماتوصلت اليه من ارتباط المعسكر المذكور بمشروع نهر الاسحاقي الذي انشىء في عهد المعتصم ليموّن المعسكر بالمياه . فان آثار الفروع التي كانت تتفرع منه وتفضي الى المعسكر لاتزال واضحة المعالم ويمكن تتبعها بسهولة ، كما أن النواظم

والسدود التي انشئت على النهر المذكور لتقسيم المياه لايزال في الامكان مشاهدتها عند مداخل الفروع الى المعسكر . وقد اكتشفت السور الخارجي الذي كان يحيط بالمعسكر فيبدأ هذا السور من حافة نهر دجلة الغربية في المكان المعروف باسم « تل بندري » الذي يقع على مسافة قليلة من جنوبي مدينة سامراء الحالية فيمتد مسافة ستة وعشرين كيلومتراً غربي المعسكر ثم ينتهي جنوباً الى حافة دجلة الغربية أيضاً عند التل الأثري المعروف باسم «تل مسعود». وكان هذا السور محصناً بأبراج عدة انشئت في المنعطفات وفي المداخل الرئيسية للمعسكر . اما مساحة هذا المعسكر فتبلغ ثلاثة وعشرين الف دونم (مشارة) .

ومما يلفت النظر أن قسماً كبيراً من أراضي المعسكر كان يستعمل لاحداث مراعي اصطناعية لجياد الجيش الامبراطوري ، أما القسم المبني ضمن السور الداخلي فكان معداً لسكن الجنود والضباط . وكانت أراضي المعسكر تغمر بالمياه من نهر الاسحاقي فيتكون بذلك المرعى المطلوب وهو ما نسميه « بالچاير». وكانت هـــذه الطريقة متبعة في القطر العراقي منذ أقدم الازمنة وقد استمر استعمالها في المقاطعات الواسعة حتى شرع في تنظيم الري وسنّ قانون الري والسداد العراقي الذي يمنع احداث مثل هذه المراعي في الاراضي الزراعية .

ومن الغريب ان رأي هرزفلد في آثار الاصطبلات ـ وهو الرأي الذي ابداه في كتاب أرسله إلي بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ ـ انه يحتمل ان تكون هذه الآثار بقايا اطلال قصر العروس الذي ورد ذكره في كتب المؤرخين العرب ، مستنداً في رأيه هذا الى ما جاء في كتاب الاغاني من وصف رحلة نهرية قام بها المتوكل وبصحبته ولاة العهود من سامراء الى قصر العروس . وفيما يلي نص قوله : ـ « أما أطلال الاصطبلات فمن الصعب التوصل الى تشخيص ما كانت عليه اذا استندنا الى المدونات التاريخية، ولـكن من المحتمل انها بقايا قصر العروس الـكبير حيث جاء في الاغاني (٩ : ٣٢) ان جماعة من المحتفلين اجروا من جسر سامراء

فنزلوا في النهر حتى وصلوا الى هذا القصر مما يدل على أن القصر كان في الضفة الغربية ، وأنه كان كثير الكلفة على حسب ما ذكره ياقوت (٣ : ١٧) وانه كان أوسع قصور سامراء

فاذا راجعنا النص المشار اليه في الأغاني نجد انه ليس فيه أية اشارة أو أي دليل على أن قصر العروس كان في الجهة الغربية من دجلة أو انه كان جنوبي سر من رأى أو شماليها . ولا ندري كيف توصل هرزفلد الى الرأي الذي تقدم ذكره في حين أن كل مافي آثار الاصطبلات ينطق بكونها ثكنات للجيش، وقد يكون في التسمية وحدها المتوارثة حتى اليوم ، أي الاصطبلات، كفاية للدلالة على انها كانت اصطبلات الجيش العباسي .

ومما يلفت النظر ان تحقيقاتنا عن منشئات الري في المنطقة موضوعة البحث دلت على أن الأقدمين كانوا يستعملون الخرسانة في مباني الري على نحو ما هو متبع الآن في تصاميم منشئات الري الحديثة ، خلافاً لما كان يظن من أن عمل الخرسانة من مبتدعات الفن الحديث . وسيرى القارىء من مجرى البحث عن تصميم بناء السد الغاطس في ذنائب القاطول الكسروي(١) والسد الثاني الذي في القسم الاوسط من النهروان ، وهو السد الذي كان يعرف باسم « الشاذروان الأسفل »(٢) ، بان هذين السدين كانا قد انشئا بالخرسانة على نفس الطريقة الفنية الحديثة المتبعة في تصميم امثالها من السدود . ويلاحظ من تصميم السد الأول، وهو التصميم الذي رسمته على ضوء الآثار المتبقية ليبين الوضع الذي كان عليه هذا السد في الاصل ، ان هذا العمل لا يختلف عن أي تصميم حديث لمثل هذه السدود على الجداول الكبيرة أو الأنهر الواسعة ، فهو قريب جداً من تصميم سد ديالى الثابت الحالي الذي انشىء في جبل حمرين في السنوات الأخيرة . كما

---

(١) راجع البحث في الفصل الثالث ورسم رقم ٦

(٢) راجع البحث في الفصل العاشر ورسم رقم ٢٠

انه يلاحظ من تصميم السد الثاني (الشاذروان الأسفل) أن هذا السد لا يختلف عن تصاميم نواظمنا الحديثة بشيء ، لاننا نجد فيه تنظيمات خاصة لتسهيل مرور السفن ، كما ان تصميم هذه التنظيمات يشبه تصاميم (الاهوسة)[1] الحديثة من كل الوجوه .

ولما كنت أشعر بأن كشف أسرار المشاريع الجبارة التي أقامها أسلافنا في هذه المنطقة لا يفضي الى أية فائدة عملية ما لم يستفد من تاريخ هذه المشاريع في وضع برنامج خاص لاحيائها من جديد واستثمارها كما استثمرها اسلافنا فقد أفردت فصلاً خاصاً ، هو الفصل الثاني عشر والأخير من هذا الكتاب ، وبحثت فيه عن امكانيات مشروعات الري القديمة في سامراء ـ وهي انهر « الجعفري » و« النهروان » و « الاسحاقي »و « دجيل »ـ على أمل أن تنال المقترحات الواردة فيه تأييد رجالات حكومتنا الموقرة وتوجيههم السامي لعلمي انهم يحرصون على تنفيذ كل مافيه خير البلاد . وهذا ما يريح ضميري بالطبع ويمكنني من جني ثمرة أتعابي وتضحياتي في هذا السبيل . ومع أني اعتقد ان البحث في مثل هذه الامور في بلد كالعراق لايخلو من التضحيات والمضايقات، فقد عقدت النية على أن أحقق مابدأت به لاعتقادي الجازم أن هناك فئة تقدر الخدمة في هذا السبيل .

ولا بد من القول في هذا الصدد بأن هذه المنطقة العريقة في تاريخها المجيد والتي كانت في زمن ما مضرب الأمثال في خصبها وخيراتها ، بفضل ازدهار المشاريع التي مر ذكرها، قد أصبحت الآن أرضاً بلقعاً لا زرع فيها ولا ضرع ترتادها الذئاب والوحوش وتغزوها الرمال من كل صوب . نعم ، ان هذه المنطقة التي كانت جنة من جنان الله قد اصبحت صحراء قاحلة لا يمكن الوصول اليها دون قيادة ربان الصحراء . ولو كان للآثار والاطلال لسان لوصفت لنا العز

(١) جمع هويس وهو اصطلاح المصريين لمعبر السفن

والرفاه اللذين كانا مخيّمين على سكان تلك البقاع ، ولـكن ذلك الصمت الرهيب الذي يسيطر على كل حواسنا والتاريخ المجيد الذي ترتسم سلسلة حوادثه في مخيلتنا حين نزور هذه الاطلال يغني عن النطق ففيه عتاب ، وفيه لوم ، وفيه مطالبة ، وفيه مناداة . نعم ، عتاب ولوم لتقاعسنا عن واجبنا ، اما المطالبة والمناداة فهي مطالبتنا بالعمل لاحياء موات هذه الأرض المباركة ، فهل نحن ملبون النداء ومجيبون للمطالبة ؟ ...

وقبل أن أختم مقدمتي هذه أود أن اسجل بمداد الفخر والاعجاب اهتمام دائرة الآثار القديمة في العراق وعنايتها في هذا الموضوع باتصالها بالعلماء والمستشرقين وبارتياد المواضع الأثرية كلما استجد بحث أو ظهر كتاب ، الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بان هذه الجهود لا بد وان تنتهي الى الحقائق العلمية التي هي ضالة كل متتبع ؛ وإذا كانت لدي كلمة أخرى اختم بها هذه المقدمة فهي تسجيل آي الحمد والثناء للمديرية المشار اليها عن المساعدات التي اسدتها الي حين مراجعة خزائن كتبها واعارتي ثمين تصاويرها وتفضل المسئولين فيها باصطحابي الى المواضع الأثرية للتثبت من النتائج التي توصل اليها التحقيق ، فمديرية الآثار مؤسسة علمية يحق لـكل عراقي ان يفتخر بها وبمجهودها .

أحمد سوسة

بغداد : ٤ شباط ، ١٩٤٨

محتويات الكتاب

صفحة

الاهداء ٩

قائمة الرسوم ٤٢

قائمة اللوحات ٤٤

قائمة التصاوير الفوتوغرافية ٤٥

الفصل الأول

سامراء عاصمة بني العباس

١ ـ سامراء عاصمة بني العباس

٢ ـ موقع سامراء في عصور ما قبل التاريخ

٣ ـ سبب اختيار المعتصم موضع سامراء دون غيره

٤ ـ المرحلة الأولى لانشاء مدينة سامراء ـ عهدا المعتصم والواثق .

أ ـ شارعا الخليج والسريجة

١ ـ الواديان ـ وادي ابراهيم بن رياح ووادي اسحق بن ابراهيم

٢ ـ الأبنية والقطائع على شارع السريجة

ب ـ شوارع أبي احمد والحير الأول وبرغامش التركي

ج ـ دار الخليفة أو دار العامة

د ـ حلبة السباق وساحة اللعب

هـ ـ القصر الهاروني والجسر الذي على دجلة

و ـ بناء الجوسق

ز ـ العمران في الجانب الغربي من نهر دجلة

obeikandl.com

ح ـ مشروع نهر الاسحاقي

ط ـ بناء الحويصلات

ي ـ قصر العاشق

ك ـ معسكر الاصطبلات

ل ـ رأي هرزفلد في الاصطبلات

٥ ـ المرحلة الثانية لانشاء مدينة سامراء ـ عهد المتوكل

أ ـ شارعا الاسكر والحير الجديد

ب ـ حائر الحير

ج ـ المسجد الجامع الكبير

د ـ حير الحيوانات وبركة البحتري

هـ ـ ساحة الحير وحلبات السباق وتل العليق

و ـ قصر الدكة في ساحة الحير

ز ـ قصر بركوارا (المنقور)

ح ـ مدينة المتوكلية وقصورها وشوارعها

ط ـ جامع أبي دلف

ي ـ مشروعات الري في عهد المتوكل

الفصل الثاني

النهروان ـ منشؤه ـ تطوّره

١ ـ تمهيد

٢ ـ صدور النهروان

٣ ـ نهر القائم ـ مجرى النهروان الصيفي

obeikandl.com

٤ ـ نهر الصنم ـ مجرى النهروان الشتوي
٥ ـ القاطول الأعلى الكسروي
٦ ـ المنشئات الرئيسية والمدن المهمة على النهروان والقاطول الكسروي
٧ ـ منشأ النهروان
٨ ـ السدان القديمان على النهرين ديالى والعظيم
٩ ـ مشروع سد ديالى القديم
١٠ ـ مشروع سد العظيم القديم
١١ ـ مشروع سد نمرود القديم
١٢ ـ سور الميدين وسد نمرود
١٣ ـ مجرى دجلة القديم الذي بين سامراء وبغداد
١٤ ـ طسوجا بزرجابور ومسكن
١٥ ـ ملاحظات إجمالية

الفصل الثاني

القاطول الكسروي ومشروع القورج

١ ـ القاطول الكسروي
٢ ـ أهداف القاطول الكسروي
٣ ـ طسّوج بزرجسابور والسد الغاطس في ذنائب القاطول الكسروي
٤ ـ القاطولان الاعلى والأسفل
٥ ـ مشروع نهر القورج
٦ ـ آثار مجرى القورج
٧ ـ موقع صدر نهر القورج — سد العلث
٨ ـ خطر نهر القورج على مدينة بغداد الشرقية من الغرق

obeikandi.com

٩ ـ فروع نهر القورج

١٠ ـ مشروع نهر دجيل القديم

١١ ـ ملاحظات اجمالية

الفصل الرابع

النهروان في العهد الاسلامي

[قاطول الرشيد]

١ — تمهيد

٢ — مشروع الرشيد — نهر أبي الجند

٣ — مجرى القورج وغرق مدينة بغداد الشرقية

٤ — مجرى القورج وتحوّل مجرى دجلة

٥ — مشروع اعادة حفر نهر القائم (نهر أبي الجند)

٦ قصرا الرشيد والمعتصم على القاطول

٧ — موقع قصر الرشيد — اطلال المشرّحات

٨ — موقع قصر المعتصم — منطقتا القادسية

٩ — متنزهات القادسية والقاطول

١٠ — تاريخ القادسية وتوسّع عمرانها

١١ — سور القادسية

١٢ — تاريخ سور القادسية

١٣ — رأينا في منشأ سور القادسية وفي تاريخه

١٤ — رأي هرزفلد في سور القادسية

١٥ — موقع منشئات المعتصم على القاطول

obeikandl.com

١٦ — منشئات المعتصم على القاطول وأطلال الاصطبلات
١٧ — كهريز المعتصم في القادسية
١٨ — خرائط المشرّحات ومدينة المعتصم على القاطول

الفصل الخامس

قناة المتوكل

١ — تمهيد
٢ — نظام ري الكهاريز
٣ — نظام ري الكهاريز في بلاد فارس
٤ — نظام ري الكهاريز في العهد العربي
٥ — نظام الكهاريز الخاص في سامراء وقناة المتوكل
٦ — وصف قناة المتوكل
٧ — بركتا قصر الخليفة — البركة النهارية والبركة الليلية
٨ — امتداد قناة المتوكل الى الجنوب
٩ — النهران المتفرعان من القناة

الفصل السادس

صير المتوكل للموصل ونهر نيزك

١ — تمهيد
٢ — مشروع الناظم على القاطول الأعلى الكسروي
٣ — مشروع نهر نيزك

obeikandl.com

٤ — نهر نيزك وقواطيل ابن سرابيون الثلاثة

٥ — حير الحيوانات

٦ — حير الحيوانات حسب وصف البحتري

٧ — قصر المتوكل في الحير

٨ — قصر المتوكل في الحير وقصر الرشيد على القاطول

٩ — خرائب القصر والتنقيب فيها

١٠ — قصرا الصبيح والمليح وقصر المتوكل في الحير

الفصل السابع

البركة الجعفرية

١ — البركة الجعفرية والبحتري

٢ — قصيدة البحتري في البركة

٣ — خلاصة وصف البحتري

٤ — بقايا البركة

٥ — الفن الهندسي في تنسيق البركة

٦ — موقع البركة حسب رأي دائرة الآثار

الفصل الثامن

النهر الجعفري

١ — تمهيد

٢ — منشأ النهر وتاريخه واهدافه

٣ — تخطيط مشروع النهر

obeikandl.com

٤ — صدر النهر ومناسيبه

٥ — موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت

٦ — فرع الحديد وأهدافه

٧ — الفروع الاخرى للنهر

٨ — التلول الأثرية على النهر

٩ — حالة النهر وناظم مصرف الوشاش

١٠ — عبّارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي

١١ — بركة القصر الجعفري

١٢ — الشارع الاعظم

١٣ — فشل مشروع النهر الجعفري وعوامله

الفصل التاسع

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الأول)

١ — تمهيد

٢ — كورة شاذهرمز ـ طسّوج « بزرجسابور »

٣ — كورة شاذهرمز ـ طسّوجا « الراذانين »

٤ — رأي لي سترانج في الراذانين

٥ — كورة شاذ هرمز — طسوجا « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين »

أ — مدينتا النهروأن وكلواذى

ب — أنهر مدينة بغداد الشرقية

١ — نهر الخالص وفروعه

٢ — نهر بين وفروعه

٣ — قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية

ج — جباية طسوجي « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين »

٦ — كورة شاذ هرمز — طسوجا « جازر » و « المدينة العتيقة »

٧ — مجموع جباية كورة شاذ هرمز

٨ — الطريق العام بين بغداد وسر من رأى يخترق كورة شاذ هرمز

الفصل العاشر

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الثاني)

١ — كورة شاذ قباذ

٢ — مجرى ديالى وعلاقته بالنهروان

٣ — نهر ديالى فرع من النهروان

٤ مجرى ديالى « نهر تامرّا » ونهر ديالى (فرع من النهروان)

٥ — طريق خراسان العام

أ — الطريق بين بغداد ومدينة النهروان

ب — جسر مدينة النهروان

ج — الطريق بين مدينة النهروان والدسكرة

د — الطريق بين الدسكرة وجلولاء

هـ — الهارونية وقنطرة طرارستان

و — الطريق بين جلولاء وحلوان

٦ — كورة ارندين كرد

أ — طسّوج النهروان الاعلى

ب — طسّوج النهروان الاوسط

ج — مدينة عبرتا

د — طسّوج النهروان الأسفل

ه — مصب النهروان في دجلة

و — طسّوج بادرايا وباكسايا

الفصل الحادي عشر

النهروان في عهد انحطاط

١ — تمهيد

٢ — انهيار سد ديالى القديم ونتائجه الوخيمة

٣ — مصنعة السهلية على ديالى

٤ — أهمية مصنعة السهلية بالنسبة الى حياة النهروان

٥ — موقع مصنعة السهلية

٦ — محاولة اعادة انشاء سد السهلية على عهد مدحت باشا

٧ — انهيار سد العظيم ونتائجه

٩ — دجيل المستنصر

١٠ — نهر دجيل الحالي

الفصل الثاني عشر

امكانيات مشروعات الري القديمة في سامراء

١ — اعادة احياء أنهر النهروان ، والجعفري ، ودجيل ، والاسحاقي

الحوادث المهمة الوارد ذكرها في هذا الكتاب وتواريخ وقوعها

قائمة الرسوم

رسم رقم ١ صورة الجزيرة لأبن حوقل (٩٧٨ م = ٣٦٧ هـ)

رسم رقم ٢ خارطة تبين حدود مدينة المتوكلية وذنائب النهر الجعفري الذي ينتهي عندها

رسم رقم ٢ (أ) خارطة مشروع نهر الاسحاقي

رسم رقم ٢ (ب) خارطة تبين حدود معسكر الاصطبلات غربي « سر من رأى» وسوره الخارجي

رسم رقم ٣ خارطة تبين تفاصيل حلبات السباق الثلاث في سامراء العباسية

رسم رقم ٤ مخطط يبين الطريقة التي كان يتبعها الأقدمون في إنشاء صدور جداولهم

رسم رقم ٥ سد العظيم القديم في مضيق جبل حمرين

رسم رقم ٦ تصميم السد الغاطس على مجرى القاطول الكسروي عند ملتقاه بمجرى القائم

رسم رقم ٧ مخطط يبين التقسيمات التي في ملتقى القاطول الاعلى الكسروي بمجرى القائم

رسم رقم ٨ خارطة سور القادسية

رسم رقم ٩ خارطة اطلال اصطبلات على ضفة نهر دجلة اليمنى

رسم رقم ١٠ مخطط يبين مقطع الكهريز في الأرض الجبلية

رسم رقم ١١ مخطط يبين تفاصيل القصر القديم المشيد على الضفة اليمنى من نهر القاطول الاعلى الكسروي عند الكيلو متر (٢٨) منه في المكان المعروف بالدكة

رسم رقم ١٢ مخطط يبين وضع الناظم القاطعي (الشاذروان) عند الكيلومتر (٣٠) من نهر القاطول الأعلى الكسروي ـ وهو المكان المعروف باسم فكة أبي سعيد ـ والفروع المتشعبة منه من أمام الناظم .

obeikandl.com

رسم رقم ١٣ خارطة حير المتوكل للوحوش

رسم رقم ١٤ خارطة البركة الجعفرية (بركة البحتري) والقصر الذي بالحير .

رسم رقم ١٥ خارطة تقريبية تبين تفاصيل تفرعات صدر النهر الجعفري

رسم رقم ١٦ خارطة قنطرة الرصاصي وعبّارة النهر الجعفري

رسم رقم ١٧ خارطة الشارع الاعظم

رسم رقم ١٨ انهر مدينة بغداد الشرقية

رسم رقم ١٩ خارطة السد الغاطس (الشاذروان الاسفل) عند الكيلو متر (٥ر١٧٦) من النهروان أمام اسكاف بني الجنيد

رسم رقم ٢٠ تصميم السد الغاطس (الشاذروان الأسفل) عند الكيلو متر (٥ر١٧٦) من النهروان أمام أسكاف بني الجنيد

رسم رقم ٢١ خارطة تبين موقع مصنعة السهلية وسد مدحت باشا على نهر ديالى لتحويل مياه ديالى الى النهروان

رسم رقم ٢٢ الآجر المختوم الذي بنيت به مصنعة السهلية

رسم رقم ٢٣ صورة العراق لأبن حوقل (٩٧٨ م = ٣٦٧ هـ)

رسم رقم ٢٤ خارطة جسر حربى

رسم رقم ٢٥ مخطط تقريبي يبين موقع صدر نهر دجيل وتشعبات مجراه عند مفرق نهر المستنصر (نهر بلد)

قائمة اللوحات

لوحة رقم ١ خارطة تبين تخطيط النهر الجعفري المعروف باسم نهر نايفة من صدره قرب الفتحة الى ذنائبه في المتوكلية مع مناسيبه وفروعه والمواقع الأثرية عليه

لوحة رقم ٢ خارطة تبين المواقع الأثرية لمدينة سامراء العباسية ومجرى النهروان من صدره الشمالي الذي في الدور حتى نهر العظيم

لوحة رقم ٣ خارطة مجريي النهروان والقورج بين العظيم وديالى

لوحة رقم ٤ خارطة مجرى النهروان بين ديالى وعبرتا

لوحة رقم ٥ خارطة مجرى النهروان بين عبرتا والذنائب

لوحة رقم ٦ خارطة تبين اتجاه مجرى دجلة القديم بين قادسية سامراء وبغداد ومواقع المدن الرئيسية التي كانت عليه

لوحة رقم ٧ خارطة مدينة سامراء في عهد الخلافة العباسية

obeikandl.com

قائمة التصاوير الفوتوغرافية

تصوير رقم

١ ـ دار الخليفة — جبهة الشط

٢ ـ اطلال قصر العاشق — منظر عام

٣ ـ قبة الصليبية — منظر خارجي

٤ ـ مخطط قبة الصليبية — حسب تخطيط هرزفلد

٥ ـ مدينة سامراء الحالية وبقايا الجامع الكبير والملوية (صورة جوية)

٦ ـ جامع أبي دلف — الرواق الاوسط للمصلى (من الشمال) بعد الترميم ورفع الانقاض

٧ ـ جامع أبي دلف — قوسان من أقواس الرواق الاوسط للمصلى

٨ ـ ملوية جامع أبي دلف بعد ترميم القاعدة ورفع الانقاض

٩ ـ برج القائم

١٠ ـ منارة عبرتا

١١ ـ جسر حربى

obeikandi.com